زواج الرجل في الشعر الجاهلي

د. محمود صبري عودة

2003
١٤٢٤
جامعة الأندلس
العلوم والتقنية
Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

ISSN : 2410-1818

زواج الرجل في الشعر الجاهلي

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى استجلاء صورة من صور الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي، ألا وهي زواج الرجل، حيث تناول البحث أنواع الأنكحة التي كانت سائدة في ذلك الزمن، وكذلك موقف الرجل من المرأة، والصفات الجسمية المرغوبة في الرجل، ناهيك عن الصفات النفسية التي لا تقل أهمية في نظر المجتمع الجاهلي، وأيضا تناول الصفات المذمومة في الرجل في نظر المرأة التي تمتعت بثقافة اجتماعية، وجنسية في بعض الأحيان، وتناول البحث العمر المناسب لزواج الرجل في الجاهلية، حيث أظهرت الأشعار السن المبكر للزواج. وتناول البحث رغبة الرجل في إنجاب الذكور دون الإناث؛ لما ساد من كراهية لولادة الإناث، وبخاصة أن المجتمع الجاهلي مجتمع ذكوري.

Abstract :

This research aimed to identify a view of the social life in the pre-Islamic era; that is : Men marriage.

The study investigated marriage kinds that were popular at that time, in addition to the men's point view about women, and the physical features of the male that are desired by females, in addition to the psychological feature that are not less important according to the pre-Islamic society. The research also studied the pros and negative features of males in females point view, who were charcterised as well cultured socially and in gender issues sometimes. The study examined the suitable age for marriage at that time. Poems showed early marriage.

The study talked about the men's desire for having male babies not females, those who were hated, as the pre-Islamic era was a male-mominated one.

خلق الله الحياة وجعل التزاوج الذي شمل مخلوقاته تعالى، من إنسان، وحيوان، ونبات ،أساساً من أسس بقائها وذلك كي يعمر الكون، وتبقى دورة الحياة قائمة بتوازن لا يشوبه خلل أو اختلال، فيتحقق للإنسان العيش فيها باستقرار وثبات وتوازن نفسي وبيولوجي مما يؤدي إلى سعادة كل كائن بمن اقترن به من أبناء جنسه.

وهذا حال كل إنسان في هذا الكون، ومن ذلك الإنسان الجاهلي الذي عاش في بيئة صحراوية قاسية، اضطرته إلى الزواج الذي من شأنه أن يضمن له البقاء والسيطرة على شؤون الحياة الاقتصادية وغيرها؛ لأن الزواج يكفل له إنجاب له الأولاد الذين سيكونون دعامة له في حياته كلها في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والأمنية وغيرها.

هذا وقد سادت في الجاهلية عادات وتقاليد مختلفة في مجال الزواج، ويعود ذلك، في الأعم الأغلب، إلى ثقافة الفرد والبيئة التي يحيا فيها. فهناك نكاح الاستبضاع الذي عدت الرجولة فيه معيار اختيار المرأة المتزوجة له ومحور اهتمامها الجسدي، وذلك حرصا منها على إنجاب ولد قوي البنية كأبيه، وهذا النوع من النكاح كان يتم خارج دائرة الزواج الرسمي؛ لأن المرأة في هذه الحالة، تكون متزوجة، ويقول لها زوجها: "أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ... ويعتزلها زوجها ولا يلمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه" [1]

وخرجت دائرة الاعتقاد عندهم من الزوجات إلى الجواري، حيث كان أصحابهن "يرغبون في استبضاعهن من شباب يتسمون بالحسن والقوة والجمال؛ ليلدن أولاداً مثلهم"[2]

وتعدى الأمر إلى الفتيات اللاتي لا يملكن رجالا، فقد روي أن والد الرسول الكريم عبد الله بن عبد المطلب مر بأخت ورقة بن نوفل (وهي عند الكعبة، فقالت له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب يا عبد الله ؟ فقال : مع أبي ، قالت: لك مثل الإبل التي نحرت عنك ، وقع علي الآن . قال : أنا مع أبي لا أستطيع خلافه ولا فراقه) [3]. ومن

[1] - الألوسي ، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، شرح محمد بهجة الأثري ،ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣١٤ ، ٤:٢ وينظر النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب في فنون الأدب ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٣ ، ٥٨:١٦

[2] - علي ، جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٧١، ١٣٧:٥ ، ٥٣٩.

[3] - ابن هشام ، محمد بن عبد الملك : السيرة النبوية ، تحقيق جمال ثابت وآخرين ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ١١٩:١

الشواهد أيضا ،ما رواه الميداني عن (امرأة رأت جارية بنت سليط، وكان رجلا جميلا، فمكنته من نفسها وحملت منه، فلما علمت أمها لامتها، ثم رأت الأم جمال ابن سليط فعذرت ابنتها وقالت: بمثل جارية فلتزن الزانية سرا وعلانية. وذهب قولها مثلا) .[٤]

ودخل هنا النوع من هذا النكاح دائرة المحرمات، إذ حرصت بعض النساء على أن يكون ولدها كأخيها في القوة و الجمال، فهذا لقمان بن عاد كانت له أخت وزوجها ضعيف وتمنت أن يكون لها ولد قوي في عقله وحنكته ودهائه مثل أخيها لقمان، فما كان منها إلا أن تقول لامرأة أخيها: إن بعلي ضعيف وأنا أضعف منه، فأعيريني فراش أخي الليلة، ففعلت فجاء لقمان وقد ثمل فبطش بأخته فعلقت منه وولدت ولدا دعته " لقيم ")[٥]

وهذا وقد ذكر النمر بن تولب هذه الحادثة بقوله: (المتقارب)

لقيمُ بنُ لقمانَ من أختِهِ ... فكان ابنَ أختٍ له وابنُما
ليالِيَ حُمِّق فاستحصنتّ ... إليه فغُر بها مُظلِما
فأحبلها رجل نابةٌ ... فجاءت به رجلا مُحكِما[٦]

وهناك الأنكحة التي تشترك فيها مجموعة من الرجال دون العشرة، حيث يدخلون على المرأة بموافقتها، ثم تلحق فيما بعد ولادتها، ولدها بمن ترغب من الرجال الذين دخلوا فيها [٧]. وقد بلغ الأمر أن صارت المرأة ملكا للإخوة حيث يشتركون (في المرأة فلهم زوجة واحدة، فإذا أراد احدهم الاتصال بها، وضع عصاه على باب الخيمة لتكون علامة على أن أحدهم في داخلها ، وأما في الليل فتكون من نصيب الأخ الأكبر) [٨].

[٤] - الميداني ، أبو الفضل احمد بن محمد بن احمد بن إبراهيم النيسابوري: مجمع الأمثال ، ضبط وتعليق سعد محمد اللحام ، ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٢ ، ١٢٤:١

[٥] - الجاحظ، أبو عمرو بن بحر: الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت د.ت، ٢١:١، وينظر بلوغ الأرب ،٢١٣/٣.

[٦] - الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان و التبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الفكر، د.ت، ١٨٤:١.

[٧] - بلوغ الأرب ،٤:٢

[٨] - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٥:٥٤ .

وهناك نوع نكاح يتزوج به الرجل من زوج أبيه بعد موته، وهذا ما قاله تميم بن مقبل: (البسيط)

وهل عاشقٌ نال من دهماءَ حاجته في الجاهلية قبل الدين مرحومُ[٩]

وهناك زواج البدل الذي شاع في الجاهلية، ولكنه ليس بدلا بين الأخت والأخ وغيرها من العائلات الأخرى، فهو بدل بين الأزواج، حيث يقول الرجل للرجل: (انزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي) [١٠].

ومما يدلل على قوة الرجل الجنسية وخصوبته كثرة النكاح، مما دعا الناس أن يقولوا له:(رجل مئر)[١١] ، ومن الرجال الذين ضرب بهم المثل في شدة النكاح حوثرة، حتى قيل:(أنكح من حوثرة)[١٢] ، وهذا وسمي الرجل الذي يتزوج كثيرا المعرس[١٣].

وقد عرف عن الرجل الجاهلي حبه للأولاد حبا جما، لذا كان من يبلغ أولاده عشرة ينذر بذبح واحد منهم ، كما فعل عبد المطلب . [١٤]

وعرف عنهم كرههم ولادة البنات؛ لأن حياتهم قائمة على الحروب والغزوات والنهب والسلب وخوفا من عار يلحق بهم من بناتهم، وفي هذا قال تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)[١٥] وكان لوأدهم البنات أسباب عدة، منها: خوف السبي في الحروب [١٦]، ومنها وجود قبح في خلقها كأن يئد الرجل (من البنات من كانت زرقاء شيماء (بها علامة قبيحة) أو برشاء (بها نقط بيض) [١٧] ومنهم يئدها خوفا من الفقر الذي كان

[٩] - تميم بن مقبل: ديوان، ط١، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة ، بيروت، ٢٠٠٦، ص ١١٤.
[١٠] - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ٢:٥.
[١١] - الثعالبي ، أبو منصور محمد بن إسماعيل ، فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط٣ ، دار الفكر ، د.ت ، ص ٥٠.
[١٢] - الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ودار المعارف، مصر ، د.ت ص ١٤١.
[١٣] - الرافد ، ص ١٠٤.
[١٤] - السيرة النبوية ، ١: ١٤١-١٤٣.
[١٥] -سورة النحل، آية ٥٨-٥٩.
[١٦] - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ٤٣:٣
[١٧] - المرجع نفسه، ٤٣:٣.

سمة في الحياة الصحراوية حيث قال تعالى:(ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم)[١٨]

ومن الأشعار، التي تكشف بوضوح، عن اللاشعور الفردي والجمعي للإنسان الجاهلي، تجاه حب الأولاد، وكره البنات، هجر أبي حمزة الضبي امرأته التي ولدت بنتاً، فمر يوما بخبائها وسمعها تقول: (الرجز)

ما لأبي حمزةَ لا يأتينا ... يظلُّ في البيتِ الذي يلينا
غضبانَ ألا نلد البنينا ... تاللّهِ ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذُ ما أُعطينا ... ونحنُ كالأرضِ لزارعينا

ننبت ما قد زرعوه فينا

فما كان من أبي حمزة إلا أن يدخل البيت ويقبل الوالدة والمولودة[١٩].

وهذه الأشعار تبين، بجلاء تام، ثقافة المرأة الجاهلية. وقد كشف عن علم الأجنة الحديث ما كان يدور في ذهن المرأة وتفكيرها وهو أن المسؤول الأول عن تحديد جنس المولود هو الرجل، وليس المرأة التي حملها العربي القديم مسؤولية ولادة البنت دون الولد، ويعد هذا الشعر وثيقة تاريخية علمية طبية أثبتها العلم الحديث.

وكانت المرأة الجاهلية تمتلك ثقافة جنسية لا يستهان بها، كيف لا؟ وهي التي تعد القطب الرئيسي في معادلة الوجود الإنساني، لذا خبرت عالم الرجال جسميا وجنسيا ونفسيا، وهذا ما يلحظه القارئ من وصف عمرطة بنت زرعة ابن ذي خفر رجلاً لفتاة ملك من ملوك حمير حين قالت:"غيث في المحل، ثمال في الأزل، مفيد، مبيد، يصلح الثائر، وينعش العاثر، ويعمر الندي، ويقتاد الأبي، عرضه دامر وحسبه باهر، غض الشباب، طاهر الأثواب، فقالت: ومن هو ؟ قالت: صبرة بن عوال بن شداد بن الهمال)[٢٠]. فكان محور اهتمامها صفات الكرم والشجاعة والشرف والحسب وقوة الشباب الجسمية التي تعد مبتغى كل فتاة؛ لأنها محور الاستقرار الجنسي والعاطفي والاجتماعي والتناسلي.

[١٨] - سورة الأنعام ، آية ١٥١.
[١٩] - البيان والتبيين، ١٨٦:١، وينظر الحيوان،٤٧:٤.
[٢٠] - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ٢: ٢٦-٢٧.

ومما ورد في صفات الرجل التي تبتغيها المرأة (مصامص النسب، كريم الحسب، كامل الأدب، عزيز العطايا، مألوف السجايا، مقتبل الشباب، خصيب الجناب، أمره ماض، وعشيره راض، قالت: من هو؟ قالت: يعلى بن ذي هزال بن ذي جدن). [٢١]

ومن الصفات، التي تشكل حافزا لقبول المرأة بالرجل الجاهلي، نسبه من الأعمام والأخوال الذين يشكلون رافعة اجتماعية قوية، مما ينبئ بقوة السلالة الوراثية، والبعد عن زواج الأقارب الذي لم تمدحه شريعة سماوية ولا معتقد أرضي أنه: (كريم أعمام وأخوال). [٢٢]

ولا يخفى على الرجل الجاهلي نظرة المرأة إلى الرجل الذي ترغب فيه زوجا، بحيث يلبي رغباتها الجنسية ويحقق سعادتها المنزلية، فها هو ذا علقمة الفحل يقول:(الطويل)

فـــان تســـألوني بالنســـاء فـــإنني بصـــيرٌ بـــأدواءِ النســـاءِ طبيـــبُ
إذا شـــابَ رأسُ المـــرءِ أو قـــلّ مالـــهُ فلـــيسَ لـــه في ودهـــنّ نصـــيبُ
يـــردنَ ثـــراءَ المـــالِ حيـــثُ علمنَـــهُ وشـــرخُ الشـــبابِ عنـــدهن عجيـــبُ[٢٣]

ومما ورد في شعره نظرة المرأة، ورغباتها، في قوة الشباب الجسمية، التي تحظى به الفتاة، امرؤ القيس: (الطويل)

أراهـــنَّ لا يحـــببنَ مـــن قـــلّ مالـــهُ ولا من رأينَ الشيبَ فيه وقَوّسا[٢٤]

فالمرأة تحرص كل الحرص على أن يكون الزوج غنيا ثريا يلبي طموحاتها المادية ورغباتها اليومية، وأن يكون شابا قوي البينة حتى يلبي رغباتها الجنسية وفي هذا تجتمع لها السعادة.

ومن الفتيات في الجاهلية من كن يتمتعن بقوة الشخصية وإبداء الرأي في الزواج، دون حرج أو وجل؟! لأن حقهن الذي كفلته الطبيعة الفطرية فقد ورد في (الأمالي) أنه (كان رجل من العرب له ثلاث بنات قد عضلهن ومنعهن الأكفاء، فقالت إحداهن: إن قام أبونا على هذا الرأي فارقنا وقد ذهب حظ الرجال منا. فينبغي له أن نعرض ما في

---

[٢١] - المرجع نفسه ٢:٢٧.
[٢٢] - المرجع نفسه، ٢:٢٧.
[٢٣] - علقمة بن عبدة: ديوانه، ط ١، شرح سعيد نسيب مكارم، دار صادر، بيروت،١٩٩٦، ص ٢٣.
٢٤- امرؤ القيس: ديوانه، شرح وتعليق محمد الإسكندري، نهاد رزق، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤، ص ١٢٣.

نفوسنا. وكان يدخل على كل واحدة منهن يوما. فلما دخل على الكبرى تحادثا ساعة فحين أراد الانصراف أنشدت: (الطويل)

أيُزجَرُ لاهينا ونُلحَى على الصِّبا وما نحنُ والفتيان إلا شقائقُ
يَؤبن حبيباتٍ مراراً كثيرة وتَنباقُ أحيانا بهنّ البوائقُ

فلما سمع الشعر ساءه، ثم دخل على الوسطى فتحادثا، فلما أراد الانصراف أنشدت: (الطويل)

ألا أيها الفتيانُ إن فتاتَكم دهاها سماعُ العاشقينَ فَحَنّتِ
فدونكم ابغُوها فتىً غير زُمّل وإلا صَبَت تلك الفتاةُ وجُنّتِ

فلما سمع شعرها ساءه، ثم دخل على الصغرى في يومها فتحدثا، فلما أراد الانصراف أنشدت:(الطويل)

أما كان في ثنتين ما يَزَعُ الفتى ويَعقِلُ هذا الشيخُ إن كان يعقلُ
فما هو إلا الحِلُّ أو طَلَبُ الصِّبا ولا بدّ منه فَأتَمِر كيفَ تفعلُ

فلما رأى تواطؤهن على ذلك زوجهن)[٢٥]؛ ولا تختلف نظرة امرأة عن أخرى فيما تبتغيه في الرجل من صفات، كيف لا ؟! وهو توأم الروح والجسد، حيث الرغبات الجنسية هي مكنون اللاشعور الفردي الذي تبحث عنه الفتاة في القطب الآخر من الوجود، ألا وهو الرجل الذي يجعلها مستقرة عاطفيا ونفسيا وجنسيا ومكانيا، فمن الآراء التي كشفت بنية التفكير النفسي لدى المرأة، ما قالته فتاة لأمها في زوج المستقبل:" أريده بازل عام، كالمهند الصمام، قرانه حبور، ولقاؤه سرور، إن ضم قضقض، وأن وسر أغمض. وإن أخل أحمض. فقالت أمها: فض فوك لقد فررت شرة الشباب جذعة).[٢٦]

فالفتاة رسمت مشهدا مثاليا لرجل تبتغيه، فهي صفات مثالية تعود عليها بالسعادة التي لا ترغب في زوالها، وهذا من شأنه أن يحقق السعادة الزوجية والجسمية والنفسية.

[٢٥] - القالي أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون: الأمالي، تحقيق صلاح بن فتح هلل، سيد بن عباد الجليمي، ط١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠١، ص ٣٦٣-٣٦٤.

[٢٦] - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ،٢:٢٧-٢٨.

ومن الشواهد التي تدلل على رغبات المرأة في الزوج الذي تتمناه، ما ورد في آراء بنات ذي الإصبع العدواني حيث قالت كبراهن: (الطويل)

ألا هــلْ تراهــا مــرةً وحليلُهــا أشَمُّ كنصْلِ السيفِ عَيْنٌ لْمُهَنّدِ
عليمــاً بــأدواءْ النســاءْ وأصــلهْ إذا ما انتمى من سرْ أهلي ومحتدِي

فقالت أخواتها : أنت تريدين ابن عم لك قد عرفته.

وأما الأخت الثانية فركزت على صغر السن الذي يضمن القوة الجسمية والجنسية التي تجد فيها ضالتها الوجودية، فقالت: (الطويل)

ألا ليتَ زوجي من أناسٍ ذوي عِدى حديثُ الشبابِ طيبُ النشرِ والذِّكرِ
لَصُــوقٌ بأكبــادِ النســاءِ كأنّــه خليفــةُ جــانٍ لا ينــامُ علــى وُتْــرِ

فقالت أخواتها: أنت تريدين فتى غنيا ليس من أهلك [٢٧]. وفي هذا الرأي ثقافة الزواج من غير الأقارب الذي رأت فيه الفتاة الصواب والحكمة.

مما سبق، يتبين لنا أن المرأة كانت صاحبة رأي في الزوج الذي ترغب فيه، وقد تمثل ذلك في رغبتها أن يكون ذا صفات جسمية ونفسية تقترب من أن تكون مثالية إلى حد ما، وبخاصة أن الخيال الجميل يرسم لوحة وردية عن فارس الأحلام، ولكن هناك من الحقائق المعيشة يوميا مع الزوج بحيث تفصح المرأة عن الصفات الجنسية لزوجها، فحبي بنت علقمة قالت في زوجها من الصفات الجنسية:(زوجي إن دخل فهد وان خرج أسد [٢٨] ففسر كلامها على أنه (إن دخل البيت وثب علي وثوب الفهد) وان خرج كان في الإقدام مثل الأسد ، تشير إلى كثرة جماعه لها إذا دخل ، فينطوي تحت ذلك تمدحه بأنها محبوبة لديه بحيث لا يعبر عنها إذا رآها)[٢٩]

وهذا يعني أن المرأة كانت ترى في قوة الشباب الجسمية والجنسية مبتغاها؛ لما يحققه ذلك في الرجل من سعادة في الحياة الزوجية وقناعة الاختيار، بحيث تفضل الفتاة الشاب على الرجل الطاعن بالسن وإن كثر ماله، فها هو ذا ابن قتيبة يروي في

[٢٧] - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ٢:٣٠، وينظر، مجمع الأمثال ، ١:٣٣٣ ، المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد: الكامل، ط١، دار الفكر، بيروت، ط١، ١:٣٢٩،١٩٩٨.

[٢٨] - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ٢: ٣٨-٣٩.

[٢٩] - المرجع نفسه ، ٢ : ٣٨-٣٩.

(عيون الأخبار) أن (خطب الحارث بن سليل الأسدي إلى علقمة بن حفصة الطائي وكان شيخا ، فقال لام الجارية: أريد ابنتك على نفسها ، فقالت: أي بنية ، أي الرجال أحب اليك: الكهل الجحجاح، الواصل المناح، أم الفتى الوضاح الذهول الطماح؟ فقال: يا أمتاه: (المتقارب)

إنّ الفتـــــاةَ تحـــــبُّ الفتـــــى كحـــبِّ الرّعـــاءِ أنيـــقَ الكَـــلا

فقالت: يا بنية، إن الشباب شديد الحجاب كثير العتاب، فقالت: يا أمتاه، أخشى من الشيخ أن يدنس ثيابي، ويبلي شبابي، ويشمت بي أترابي، فلم تزل بها حتى غلبتها على رأيها ، فتزوج بها الحارث حتى رحل بها إلى قومه، فانه لجالس ذات يوم بفناء مظلته وهي إلى جانبه، إذ اقبل شباب من بني أسد يعتلجون، فتنفست ثم بكت، فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: وما للشيوخ الناهضين كالفروخ! ، فقال: ثكلتك أمك، تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها – فذهب مثلا – أما وأبيك لرب غارة شهدتها، وسبية أردفتها، وخمرة شربتها، فالحقي بأهلك، ولا حاجة لي فيك) .[٣٠]

فإذا كانت الأم قد أجبرت ابنتها على الزواج من الرجل الطاعن بالسن، ولم تملك الفتاة حيلة من أمرها، وكان الفراق مصير من لا يملك الحرية، فهناك في المجتمع الجاهلي من تملك حرية الاختيار، فهذه امرأة من بني زياد بن الحارث كانت حريصة على الزواج من فتى كريم شجاع حليم، فقالت: (الطويل)

فـــلا تـــأمُرني بـــالتزوُّج إنـــني أُريـــد كـــرامَ القـــومِ أوْ أتبتّـــلُ
أريـدَ فتـىً لا يمـلأُ الهـولُ صـدرَه يُـريحُ عليـه حلمَـه حـينَ يجهـلُ

وعبرت كذلك عن هذه الصفات امرأة من باهلة حين قالت: (الطويل)

أحبُّ الفتى ينفي الفواحشَ سمعُهُ كأنّ بهِ عنْ كلِّ فاحشةٍ وقرا
سليمُ دواعيَ الصدرِ لا باسطاً أذىً ولا مانعاً خيراً ولا قائلاً هُجْرا[٣١]

فقوة الشباب الجسمية تجعله أهلا للكرم والشجاعة والحلم؛ لأن غير الشاب يصعب عليه جمع القوة الجسمية والصفات المعنوية الحميدة.

[٣٠]- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: عيون الأخبار، شرح مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٨-٤:٤٨-٤٩.
[٣١] - الحيوان ، ١٦٣:٧

ومن النساء اللواتي كشفن عن حرية الاختيار، وقوة الشخصية، والثقافة الجنسية الدقيقة، التي كانت تتمتع بها الشاعرة الخنساء التي كانت إضافة إلى ما سبق تتمتع بالنظرة الثاقبة والبصيرة والحكمة، وبعد النظر في الزوج، وقد تمثل ذلك عندما أحضر (دريد بن الصمة أخا لمعاوية عمرو، فخطب إليه الخنساء أخته، فقال له: إن مثل الخنساء لا يقتات عليها بأمر ، وأنا طالب ذلك إليها فأتاها مسرعا وهو راكب، فلما رأته الخنساء، قالت: إني لأرى فخذه بارزة، وما ذلك إلا لأمر مهم، فلما انتهى إليها، قال: يا أخية، قد عرفت الذي بيني وبين دريد بن الصمة، وانه خطبك إلي، فأحب أن تشفعيني وتتزوجيه، قالت: أي تبرد! ما وجدت شيئا ترضى به صديقك غيري! قال: إني أحب أن تفعلي. قالت: ما بقي منه شيء، أرسله إلي. فرجع معاوية إلى دريد، فقال: انطلق إليها، فإنها أمرتني بذلك. فركب دريد فرسا ولبس حلة له، ثم أقبل إليها، فنزل، فأمرت بوسادة فألقيت له، ثم أخذت تحدثه وتسائله، ثم دعت بلبن فسقته، وجعلت تحبسه حتى أتاه البول، فلما نهض ليبول، بعثت جاريتها، فقالت انظري إلى بوله، أيخد في الأرض أم يطفو؟ فرجعت الجارية فأخبرتها أنها رأته طافيا. فقالت: ليس عنده شيء، وأمرته بالانصراف. فقالت سيأتيك رأيي. فانصرف، ثم أرسلته إليه: انك شيخ كبير قد ضعف بصرك، واسترخى ذكرك، وذهب ظفرك، نتن إبطك، وكبرت استك، وولى شبابك، فلا حاجة لنا بك. فأراد معاوية أن يكرهها، فقالت في ذلك: (الوافر)

لئن أنكحتني غصباً دريداً ... لقد أودى الزمانُ إذاً بصخر
معاذَ اللهِ يَنْكَحُني حَبْرَكي ... قصيرُ الشِّبْرِ مِنْ جُشَمَ بْنِ بَكْرِ

وهنا يلاحظ أن المرأة الجاهلية كانت تتمتع بحرية القول والرأي، وسيادة الموقف والاختيار، كل ذلك بعد الثقافة الجنسية التي قوت بها رأيها وقرارها الذي يعد تاريخيا بالنسبة لامرأة ترغب في الزواج، وفي اختيار شريك الحياة.

الصفات المذمومة في الرجل في نظر المرأة:

وكذلك من النساء اللواتي يملكن خبرة في معاشرة الأزواج، ويبدين الرأي في الصفات المذمومة في الرجل، وهي صفات جنسية، فهذه نساء من قبيلة خثعم اليمنية

ISSN : 2410-1818

يصفن أزواجهن، فتقول إحداهن: (زوجي لا أبث خبره، إني أخاف أن لا اذره إن أذكره أذكر عجره وبجره)[٣٢].

وقالت بنت أوس بن عبدود (زوجي إن أكل لف، وإن شرب اشتف، وإن اضطجع التف، ولا يولج الكف ليعلم البث، وفي رواية بزيادة، وإن ذبح اغتث؛ أي تحرى الغث وهو الهزيل، وقد جمعت في وصفها له بين اللؤم والبخل والنهمة والمهانة، وسوء العشرة مع أهله ، فان العرب تذم الأكل والشرب، وتمتدح بقلتها وبكثرة الجماع لدلالتها على صحة الذكورية والفحولية) [٣٣]. وهناك من وصفت ثقل صدر زوجها عند الجماع، فقالت:(زوجي غياياء طباقاء، كل داء له دواء، شجك أو فلك، أو جمع كلا لك)[٣٤] . وقد ذمت امرأة امرأ القيس فقالت:(ثقيل الصدر، خفيف العجز، سريع الإراقة، بطيء الإفاقة)[٣٥] .

هذا ولا يخفى على الرجل الجاهلي الصفات التي ترغب فيها المرأة، وهي قوة الشباب والجمال، وبالتالي تبقى غيرة الرجل على امرأته قائمة، حيث يرفض أن تتزوج بعد وفاته، فهذا غسان بن جهضم يوصي زوجة أم عقبة بنت عمرو بن الأبجر اليشكرية، ألا تتزوج بعد وفاته: (الخفيف)

أخبريني الذي تريدنَ بعدي ... والذي تصنعينَ يا أمّ عقبهْ
تحفظيني من بعدِ موتي لما قدْ ... كانَ في منْ حسنِ خلقٍ وصحبهْ
أمْ تريدينَ ذا جمالٍ ومالٍ ... وأنا في الترابِ في سُحْقِ غُرْبَهْ[٣٦]

ومن الرجال الجاهليين من رأى في الموت حتمية، وبالتالي دفعه حبه لزوجته أن يوصيها بالرجل الذي تختاره فيما بعد وفاته، وهذا ينبئ عن ثقافة تكاد تكون منتشرة بين الرجال والنساء، فيما يتعلق بالبعد النفسي والجنسي للعلاقة الزوجية ، فها هو ذا هدبة بن حشرم يوصي زوجه الجميلة قائلا: (الطويل)

فلا تنكحي إن فرقَ الدهرُ بيننا ... أغَمّ القفا والوجه ليس بأنْزَعا

[٣٢] - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ٣٢:٢.
[٣٣] - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ٣٦:٢
[٣٤] - المرجع نفسه ، ٤٠:٢
[٣٥] - المرجع نفسه ، ٤٠:٢
[٣٦] - الأمالي ، ص٧٣٦

مـن القـومِ ذا لـونينِ وسـع بطنَـه ولكـن أذِيّـاً حِلْمُـهُ مـا تَوَسّـعا
ضـربوا بلحْيَيْـهِ علـى عَظْـمِ زَوْرِه إذا القـومُ هشـوا للفعـالِ تَقَنّعـا[37]

فالشاعر حرص على التركيز على الصفات الخلقية و الخلقية من كرم وطيب الخلق وحسن الخلق.

وهذا يتعدى إبداء النصح ونشر الثقافة الزوجية الأزواج إلى الأخوة، وذلك للحرص على إقامة علاقة زوجية سليمة قادرة على بناء أسرة قوية الخلق والخلق، فا هو هذا امرؤ القيس يوصي أخته بالزواج من رجل قوي البنية الخلقية والخلقية[38] :(المتقارب)

يـا هِنْـدُ لا تنكحـي بَوْهَـة عليـه عقيقَتُـه أحْسَـبا

فالرجل ضعيف النفس والجسم لا يستطيع إقامة أسرة قوية مثالية، وبالتالي تكثر المفاسد والخلافات الأسرية، وتكون المرأة ضحية ذلك الاختيار، والبيت الشعري يبوح بحرية اختيار المرأة زوجها التي ترغب فيه.

ومن صفات الرجل التي تكرهها البنات وأقاربهن البخل والجبن، وان توافرت المغريات، كالمهر الكثير، وهذا ما حدث مع رجل طلب ابنة عمه من الزواج من رجل فيه هذه الصفات[39] : (الطويل)

ولا تقربـي يـا بنـتَ عمـي بُوهَـةً مـن القـوم دِفْناسـاً غبيـاً مُفَنّـدا
وان كـان أعطى رأسَ ستينَ بَكْـرَةً وَحُكْمَـاً على حكْمٍ وعَبداً مُوَلَّدا
إلا فاحـذري لا تُوردَنّـكِ هَجْمَـةً طِوالَ الذُّرى جِبْساً مِنْ القومِ قُعْددا

فهو يحذر ابنة عمه من الزواج من رجل ضعيف النفس والجسد، أحمق، جبان لا يهتم بشؤون القبيلة، وان كان المهر كثيرا. أي ما يقارب مئة ناقة، وهذا عين

[37] - عيون الأخبار ، ١٦:٤-١٧ الغمم: أن يسبل الشعر حتى يضيق الوجه والقفا. النزع: انحسار مقدم الرأس على جانبي الجبهة الغمم: كناية عن الجبن، الأذي: الشديد الأذى والضرر. الزور: أعلى الصدر.

[38] - ديوانه ص ١٤٥ ،البوهة: البومة، وتضرب للرجل الضعيف الذي لا خير فيه. العقيقة: الشعر الذي يولد به الطفل. الأحسب: الذي ابيضت جلدته، وفسدت شعرته، وهي صفة مذمومة عند العرب.

[39] - البيان والتبيين، ٢٤٦:١ البوهة: الرجل الضعيف الطائش، الدفناس: الأحمق، المفند: ضعيف الرأي والجسم . الهجمة من الإبل: قريب من المائة، الجبس: الجبان. القعدد: الجبان اللئيم القاعد عن الحرب والمكارم .

الصواب، أن رجلا يتصف بصفات الضعف والجبن لا يستطيع حماية زوجه وتربية أولاد يقدرون حماية أنفسهم وقبيلتهم .

ومن الصفات السيئة التي يكرهها المجتمع أن يكون مع المرأة صعلوكا، وهذا ما حدث مع الصعلوك تأبط شرا الذي خطب امرأة من هذيل، لكن الأهل والمجتمع المحيط بها حذروها من الزواج من صعلوك، فقال تأبط شرا: (الطويل)

وقالوا لها: لا تنكحيه فانهُ لأولِ نصلٍ أن يلاقيَ مَجْمَعا
فلم ترَ مِنْ رأيٍ فتيلاً وحاذرتْ تأيُّمَها مِنْ لابسِ الليلِ أرْوَعا[٤٠]

الصفات المحمودة في الرجل :

لقد حرص الرجل الجاهلي على أن يتصف بصفات جسمية، ونفسية، تجعل منه محط أنظار المجتمع، وبخاصة المرأة، والعدو، وذلك لما لهذه الصفات من أثر في بسط نفوذه وسيادته وتألقه وجماله؛ لذلك امتدح الجاهليون خفة جسم الرجل ونشاطه، وأعجبوا بقلة اللحم وضمور الجسم، فهذا طرفة بن العبد يقول[٤١] : (الكامل)

أنا الرجلُ الضربُ الذي تعرفونَه خَشاشٌ كرأسِ الحيةِ المتوقدِ

ومن الصفات التي يرغب المجتمع الجاهلي في أن تكون في الرجل (قوة الساعد واحتقروا الترهل وكثرة الشحم ؛ لأنهما دليل التقاعس الجبن)[٤٢] ، وهذا ما ورد في شعر عنترة[٤٣]: (الكامل)

إما تَرَيْني قد نَحَلْتُ وَمَنْ يكن غَرَضاً لأطرافِ الأسنّةِ يَنْحَلُ

وكذلك (للضمور معنى آخر غير الإقدام والشجاعة، وهو معنى الكرم، فالبخيل يشبع؛ لأنه يفضل نفسه على سواه، ويخبئ الزاد على الضيوف، والكريم ينحل؛ لأنه

[٤٠] - ديوانه ، ص ١٣٤. لأول نصل: أي يقتل بأول نصل.

[٤١] - ديوانه، طرفة بن العبد، شرح سعد الضناوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤، ص ١١٤.
[٤٢] - ضناوي، سعدي: أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٣،ص ٩٦.
[٤٣] - عنترة بن شداد: شرح ديوانه، ط ١، تحقيق عبد المنعم شلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠، ١٢١ .

يطعم ضيوفه ويبيت على الطوى)[٤٤]، ومما اعتقده الجاهليون سبباً في زيادة شجاعة الرجل أكله لحوم السباع ، إذ قال بعضهم : [٤٥] (البسيط)

أبا المعاركِ لا تتعبْ بأكلكَ ما ... تظنُّ أنك تلقى منه كرارا
فلو أكلتَ سباعَ الأرضِ قاطبة ... ما كنتَ إلا جبان القلب خَوَارا

ومن صفات الرجولة التي يرغب فيها المجتمع الجاهلي طول القامة؛ وذلك لأبعاد نفسية واجتماعية وجمالية، إذ تقول الخنساء في أخيها صخر: [٤٦](الطويل)

طويلُ النِّجادِ رفيعُ العمادِ ... سادَ عشيرتَهُ أمْرَدا

حيث تتمثل (جمالية الشكل الرجولي أول ما تتمثل في القامة الطويلة، ولا يخفى أهمية الطول في القامة ناجم عما فيها من معاني القوة والاستعلاء، فالحياة الاجتماعية في مختلف العصور لا تخلو من ألوان الصراع، وللقوة البدنية شأنها في تحقيق الغلبة، ولاسيما عندما يتطلب القتال المواجهة المباشرة بين الأفراد). [٤٧]

وصفة الطول جمالية المعارك والشجاعة، إذ قال أنيف بن زبان النهشلي [٤٨]: (الطويل)

ولما التقى الصفانِ ، واشتجرَ القنا ... نهالا ، وأسبابُ المنايا نهالها
تبينَ لي أن القماءَةَ ذلة ... وأنّ أعزاءَ الرجالِ طِوالُها

ولتمام الأوصاف الجسمية في الرجل، يصف الشاعر أدق التفاصيل التي تنم عن كمال خلقة الرجل وعظمه سلالته الوراثية التي تتحقق بالزواج، فها هو ذا النابغة يفخر بصفات قومه: [٤٩](البسيط)

شُمُّ الأُنوف ، طِوالُ أنضيةِ الـ ... أعناق، غير تَنَابِلٍ كُزْمِ

[٤٤] - اثر الصحراء في الشعر الجاهلي، ص ٩٧.
[٤٥] - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ٣٢٣:٢ .
[٤٦] - ديوانها ، ص ٧١.
[٤٧] - خليل، أحمد محمود: في النقد الجمالي، ط١، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت ، ١٩٩٦، ص ٨٥.
[٤٨] - الحماسة البصرية ، ٣٥:١.
[٤٩] - النابغة الذبياني: ديوانه ، ط١، جمع وتحقيق وشرح واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨، ص ١٧٠.

ISSN : 2410-1818

العمر المناسب للزواج :

سادت في الجاهلية ثقافة زواج الرجل في عمر مبكر؛ كي ينعم بأولاده وهو في ريعان شبابه، فسمو أولادهم من الشباب ربعيين، دلالة على أن ولادتهم حدثت في ربيع الأب، وسموا الأولاد المولودين من الرجل الكبير السن صيفيين؛ لأن ولادتهم حدثت في صيف الوالد ، وفي هذا قال أكثم بن صيفي: [٥٠] (الرجز)

إن بـــنيّ صـــبيةٌ صـــيفيون أفلـحَ مَـنْ كـانَ لـه ربعيـون

إذ يمثل هذا المعتقد اللاشعور الفردي والجمعي للناس الجاهليين الذين عاشوا حياة صعبة المنال، حيث التنقل من مكان لآخر طلبا للكلأ والماء، والغزوات، والنهب والسلب، والدفاع عن القبيلة؛ لذا يضمن زواج الرجل في عمر مبكر إنجاب الأولاد وهو في صحة جسمية، وعقلية قوية، تستطيع تربيتهم تربية الأقوياء لا الضعفاء، حيث يكون القدوة الأولى لهم في الشجاعة والقدرة المادية والمعنوية، وكانت العرب تقول لمن يتزوج وهو صغير السن ويقولون(تعير القوم رئيسهم) [٥١] أي زوجوه وهو عالي السن طلبا للنسل. وكانت العرب تقول:(أربع فلان، أي ولد له وهو شاب)[٥٢] وهذا يؤكد على القوة الإخصابية للرجل في سن مبكرة التي تضمن سلالة قوية.

واحتل الملك عند العرب الجاهليين مكانة رفيعة لاعتقادهم في نسبه المتوارث القوي، وحسبه الرفيع، فها هو ذا عبد المطلب يقول لسيف بن ذي يزن:(إن الله أحلك أيها الملك محلا رفيعا، صعبا منيعا، شامخا ناذخا، وأنبتك منبتا طابت أروقته، وعزت جرثومته، وثبت أصله وبسق فرعه في أكرم موطن، وأطيب معدن، وأنت أبيت اللعن ملك العرب وربيعها الذي يخصب به) [٥٣]. لذا عرفت عادة فض بكارة العذارى من قبل الملك عند العرب القدامى، ومنهم طسم وجديس وهم العرب العاربة، أو العرب البائدة، حيث كان كل من ملك طسم وجديس يتولى فض بكارة كل زوجة قبل دخول زوجها عليها، وحدث مرة أن ملك طسم المسمى (عميلق) اعتدى على حق ملك جديس، فقام

[٥٠] - لسان العرب ، مادة (ربع).
[٥١] - الرافد، ص ١٠٤.
[٥٢] - الرافد، ص ١٠٨ .
[٥٣] - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ٢٦٧:٢.

بفض بكارة أخته (الشموس) ليلة زفافها إلى زوجها ، مما سبب حربا بين القبيلتين، أدت إلى إبادتهما ، لذا عرفوا بالعرب البائدة [٥٤]. لذا توارثت العرب هذا المعتقد بصورة أخرى تؤكد القوة الإخصابية للملك أو الزعيم في بث الحياة في الآخرين أو الحفاظ عليها ، فكانت (العرب تزعم أن المقلات، إذ وطئت رجلا كريما قتل غدرا ، عاش ولدها)[٥٥] وممن عكس هذا المعتقد في قوله بشر بن أبي خازم: [٥٦] (الطويل)

تَظَـلُّ مقاليـتُ النسـاءِ يَطَأْنَـهُ يَقُلْنَ: ألا يُلقى على المرءش مِئْزَرُ

وما نصل الى المرحلة الأخيرة من حياة الرجل العمرية والجنسية، حتى يلحظ المرء قلق الرجل وخوفه من الشيخوخة؛ لأنها مرحلة يجد فيها تذمر زوجة، وتضجرها، من عمره، وصحته، وقوته، ونشاطه، فها هو ذا عبيد بن الأبرص يقول - بعدما وهنت قواه ،وغزاه الشيب – لزوجه: [٥٧] (الخفيف)

تلـكَ عِرسـي تَـرومُ قِـدْما زِيَـالي أَلِبَـيْنٍ تُريـدُ أَمْ لِـدَلالِ
زعمـتْ أنـني كـبرتُ وأَنـي قـلّ مـالي وضـنّ عـني المَـوالي

ويقول أوس بن حجر مخاطبا امرأة تدعى لميس: [٥٨] (الطويل)

تنكـرتِ منـا بعـدَ معرفـةٍ لمـي وبعد التصابي والشباب المكرّمِ

حيث يوضح الشاعر موقف هذه المرأة من تغير صحته، من بعد قوة وشباب، حيث القوة المادية والجنسية التي تجد فيها المرأة غايتها الوجودية.

ويؤكد سلامة بن جندل على عظمة الشباب الذي يعد ركيزة اللذات: [٥٩] (البسيط)

أودى الشبابُ الذي مجدُ عواقِبه فيه نلـذُّ ولا لَـذّاتٍ للشـيبِ

[٥٤] - المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: أخبار الزمان، ط٣، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٨، ص ١٢٤، وينظر، المسعودي، أبو الحسن بن علي: مروج الذهب، مطبعة الرجاء، مصر، ١٣٤٦، ٢:١١٣.

[٥٥] - لسان العرب، مادة (قلت) وينظر، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ص ٧٨٦، وينظر الحياة العربية من العصر الجاهلي، ٤٩٨.

[٥٦] - بشر بن أبي خازم الأسدي: ديوانه ، تحقيق عزة حسن، دار الشروق العربي بيروت، ٢٠٠٤ ،ص١٢٠.

[٥٧] - عبيد بن الأبرص: ديوانه، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ١١٣-١١٤.

[٥٨] - أوس بن حجر: ديوانه، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠، ص ١١٧.

[٥٩] - سلامة بن جندل: ديوانه، ط٢، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص ٩١.

يبين الشاعر الطاقة الجسمية والجنسية والنفسية التي تتفرد بها الشباب، على عكس الشيخ الكبير الذي يفتقد كل هذه المقومات، ويمتلئ عجزا وضعفا على المستويات كافة.

ويتنكر امرؤ القيس لكبر سنه وشيخوخته التي دافع عنها بأنه قوي الجسم والبنية، وأنه يستطيع إعجاب النساء وإغرائهن حيث يقول : [٦٠] (الطويل)

ألا زَعَمَتْ بَسْباسَةُ اليومَ أنني ... كبرتُ وألا يُحسِنُ اللهوَ أمثالي

كذبت ، لقد أصبي على المرء عرسه ... وأمنع عرسي أن يزن بها الخالي

ويا رب يوم قد لهوت وليلة ... بآنسة كأنها خط تمثال

وتؤدي قدرة الرجل الجنسية دورا أساسيا في الاستقرار العائلي؛ لما له من أثر في تشكيل أسرة سعيدة قوية آمنة مستقرة. لكن الرجل العقيم لا تستطيع زوجته البقاء معه إلى ما لا نهاية فهذه (ضباعة بنت عامر القشيرية كانت قد تزوجت قبل الإسلام من عبد الله بن جدعان، وكان لا يولد له ولد، وكانت من أجمل النساء، فأرسل هشام بن المغيرة من يقول لها: ماذا تصنعين في هذا الشيخ الكبير الذي لا يولد؟ قولي له حتى يطلقك: فقالت لزوجها عبد الله أن يطلقها، وعلم الزوج بما فعل هشام بن المغيرة فاشترط عليها إن طلقها ألا تتزوجه، وإن هي فعلت، فعليها أن تطوف بالبيت حول الكعبة عريانة، وان تنسج له ثوبا يقع ما بين الأخشبين، وأن تنحر مئة من الإبل في مكة، فقالت له لا أطيق ذلك، وأرسلت إلى هشام بن المغيرة فأخبرته، فأرسل إليها: ما أيسر ما سألك، فلا يسوءك ما طلب، فأنا أيسر قريش مالا ونسائي أكثر نساء قريش وأنت أجمل النساء، فلا تأبى عليه، فقالت لزوجها ابن جدعان: طلقني، وأنا إن تزوجت هشاما فعلي ما طلبت ، فطلقها بعد استيثاقه منها، فتزوجها هشام ونحرعنها مئة ناقة، وجمع نساءه فنسجن ثوبا ما بين الأخشبين، ثم طافت حول البيت عريانة). [٦١]

غيرة الرجل على زوجته:

كانت الغيرة تتملك الرجل أحياناً على زوجه، وأحياناً يساوره الشك فيما تنجب، ولا عجب في ذلك، بخاصة إذا ما تذكر القارئ حيثيات الحياة الاجتماعية في العصر

[٦٠] - ديوانه ، ص ٤٣

[٦١] - الترمذي عبد السلام: الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام، ط٣، طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ١٩٩٦، ص ٢٣٢ -٢٣٣.

الجاهلي، وما يسودها من أنكحة متعددة، في ظل غياب شريعة سماوية. وهذا ما حدث مع رجل من بني عامر بن صعصعة الذي تزوج (امرأة من قومه، فخرج في بعض أسفاره، ثم قدم وقد ولدت امرأته، وكان خلفها حاملاً، فنظر إلى ابنه، فإذا هو أحمر غضب، أزب الحاجبين، فدعاها وانتضى السيف، وأنشأ يقول: (السريع)

لا تَمْشُطي رَأسي ولا تَفْلِيني وحاذري ذا الرِّيق في يميني
واقتربي دونَك أخبريني ما شأنُهُ أحمرَ كالهجينِ
خالف ألوان بني الجون

فقالت تجيبه: (السريع)

إن له من قبلي أجداداً بيضَ الوجوه كَرَماً أنجاداً
ما ضَرّهم إن حَضَروا مِجاداً أو كافحوا يوم الوغى الأندادا
ألا يكون لَوْنُهم سوادا [٦٢]

فهذه الحادثة تؤكد على ثقافة المرأة الجاهلية في نقل الصفات الوراثية من الأجداد إلى الأحفاد، وعلى صون العرض، وحفظ السر، وإن غاب الزوج طويلا.

ومن المعتقدات الجاهلية المتعلقة بالشرف والخيانة الزوجية ما يعكسه المثل الجاهلي:" أمحل من تَعقاد الرتم"، [٦٣]حيث "كان من عادة العرب إذا أراد الواحد منهم سفراً أن يعقد خيطاً بشجرة، ويعتقد أنه إن أحدثت امرأته حدثاً انحل ذلك الخيط، وكانوا يسمونه الرتم والرتمة، وذكر ابن الأعرابي أن رجلاً من العرب أراد سفراً فأخذ يوصي امرأته، ويقول: إياك أن تفعلي، وإياك أن تفعلي، فإني عاقد لك رتمة بشجرة، فإن أحدثت حدثاً انحلت، فقال الشاعر: (الرجز)

هل ينفعك اليومَ إن هَمَّتْ بهم كثرةُ ما توصي وتعقادُ الرّتَمْ "[٦٤]

[٦٢] - كتاب الأمالي، ص ٤٦.

[٦٣] - مجمع الأمثال، ٢: ٣٨٢.

[٦٤] - المرجع نفسه، ٢: ٣٨٢، وينظر، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ٢: ٣٢٤، ٢: ٣١٧.

فهذا معتقد خرافي لا يستند إلى حقائق علمية أو مادية، ولكن طبيعة ذلك العصر اعتمدت أحياناً على الأساطير القديمة، وبقي صداها في اللاوعي الجمعي في المجتمع الجاهلي.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١) الألوسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح محمد بهجة الأزدي ،ط ١، دارالكتب العلمية، بيروت ، ١٣١٤.

٢) أوس بن حجر: ديوانه، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠.

٣) امرؤ القيس: ديوانه، شرح وتعليق محمد الإسكندري، نهاد رزق، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤.

٤) بشر بن أبي خازم الأسدي: ديوانه، تحقيق عزة حسن، دار الشروق العربي بيروت، ٢٠٠٤. ٥ - الترمذي عبد السلام: الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام، ط٣، طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ١٩٩٦.

٥) تميم بن مقبل: ديوان، ط١، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٦.

٦) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، د.ت.

٧) الثعالبي، أبو منصور محمد بن إسماعيل: فقه اللغة وسر العربية، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، ط٣، دار الفكر، د.ت .

٨) الجاحظ، أبو عمرو بن بحر: الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت د.ت.

٩) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان و التعيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الفكر، د.ت.

١٠) خليل، أحمد محمود: في النقد الجمالي، ط١، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت ، ١٩٩٦.
١١) سلامة بن جندل: ديوانه، ط٢، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.
١٢) ضناوي، سعدي: أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٣.
١٣) ديوانه، طرفة بن العبد، شرح سعد الضناوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤.
١٤) عبيد بن الأبرص: ديوانه، دار صادر، بيروت، د.ت.
١٥) علقمة بن عبدة: ديوانه، ط ١، شرح سعيد نسيب مكارم، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦.
١٦) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧١.
١٧) عنترة بن شداد: شرح ديوانه، ط ١، تحقيق عبد المنعم شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠.
١٨) القالي أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون: الأمالي، تحقيق صلاح بن فتح هلل، سيد بن عباد الجليمي، ط١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠١.
١٩) قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: عيون الأخبار، شرح مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
٢٠) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: الكامل، ط١، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٨.
٢١) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: أخبار الزمان، ط٣، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٨.
٢٢) المسعودي، أبو الحسن بن علي: مروج الذهب، مطبعة الرجاء، مصر، ١٣٤٦.

٢٣) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن احمد بن إبراهيم النيسابوري: مجمع الأمثال، ضبط وتعليق سعد محمد اللحام، ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٢.
٢٤) النابغة الذبياني: ديوانه ، ط١، جمع وتحقيق وشرح واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨.
٢٥) النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٣.
٢٦) ابن هشام، محمد بن عبد الملك: السيرة النبوية، تحقيق جمال ثابت وآخرين، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤.